Black plate (63,1)

الإيمان باليوم الآخر

هو الاعتقاد الجازم أن الله تعالى يؤخر العباد ليوم يبعثهم فيه من قبورهم، ويحاسبهم على أعمالهم، ويجزيهم عليها؛ إما بالجنة أو النار.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وقال: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ [التغابن: ٧]، وقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ۝١٦﴾ [الروم: ١٤ ـ ١٦].

ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر، ما يلي:

أولاً الإيمان بما يكون بعد الموت

من معاينة الملائكة حين الاحتضار، وفتنة القبر الحاصلة من سؤال الملكين للعبد عن ربه، ودينه، ونبيه، وعذاب القبر، أو نعيمه، مما يكون في حياة البرزخ. قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠﴾ [الأنفال: ٥٠]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠﴾

Black plate (64,1)

[فصلت: ٣٠]، وقال: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن العبدَ إذا وُضِعَ في قبرِهِ وتولَّى عنه أصحابُهُ، وإنه ليَسْمعُ قرعَ نِعالِهم، أتاه مَلَكانِ فيُقْعِدانهِ فيقولانِ: ما كنتُ تقولُ في هذا الرجُلِ محمَّدٍ ﷺ؟ فأمَّا المُؤمنُ فيقولُ: أشهدُ أنَّه عبدُ الله ورسولُهُ، فيُقالُ له: انظر إلى مقعدِكَ من النارِ قد أبدلَكَ اللهُ به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً، وأما المنافقُ والكافِرُ فيُقالُ له: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجلِ؟ فيقولُ: لا أدري، كنتُ أقولُ ما يقولُهُ الناسُ، فيُقالُ: لا دريتَ ولا تليتَ، ويُضربُ بمطارِقَ من حديدٍ ضربةً، فيصيحُ صيحةً يسمعُها مَن يليهِ غيرَ الثَّقلينِ**» متفق عليه[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ النبيُّ ﷺ بقبرينِ فقال: «**إنهما ليُعذَّبانِ وما يُعذَّبانِ في كبيرٍ، أمَّا أحدُهُما فكانَ لا يستترُ من البولِ، وأمَّا الآخرُ فكان يمشي بالنميمةِ**»، ثم أخذَ جريدةً رَطْبةً فشقّها نصفين فغرزَ في كلِّ قبرٍ واحدةٍ، قالوا: يا رسولَ اللهِ لِمَ فعلتَ هذا؟ قال: «**لعلَّهُ يُخفَّفُ عنهما ما لم يَيْبَسا**» متفق عليه[(٢)].

ثانياً الإيمان بالساعة وأشراطها

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٧٤)؛ ومسلم برقم (٢٨٧٠).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٢١٨)؛ ومسلم برقم (٢٩٢).

Black plate (65,1)

[الشورى: ١٧ ـ ١٨]، وقال: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾ [محمد: ١٨].

ومن أشراط الساعة الكبرى، ما دل عليه قوله ﷺ: «**إنها لن تقومَ حتى ترونَ قبلها عشرَ آيات**». **فذكرَ: الدخانَ، والدجالَ، والدابةَ، وطلوعَ الشمسِ من مغربها، ونزولَ عيسى ابنِ مريم، ويأجوجَ ومأجوجَ، وثلاثةَ خُسُوفٍ: خسفٌ بالمشرقِ، وخسفٌ بالمغربِ، وخسفٌ بجزيرةِ العربِ، وآخرُ ذلكَ نارٌ تخرجُ من اليمنِ تطردُ الناسَ إلى مَحْشَرِهِم**» رواه مسلم(١).

ومجيء الساعة مباغت، سريع؛ قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧]، وقيامها يكون بنفخة الصعق؛ قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

ثالثاً الإيمان بالبعث

وهو إخراج الله تعالى العباد من قبورهم أحياءً، حفاةً؛ غير منتعلين، عراةً؛ غير مكتسين، غرلاً؛ غير مختونين، بهماً؛ ليس معهم شيء، وذلك بعد النفخة الثانية في الصور. قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: ٥١]، وقال ﷺ: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة، عراة، غرلاً**» متفق عليه(٢).

(١) برقم (٢٩٠١) من حديث حذيفة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٣٤٩)؛ ومسلم برقم (٢٨٦٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه البخاري برقم (٦٥٢٧)؛ ومسلم برقم (٢٨٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

Black plate (66,1)

رابعاً الإيمان بأحوال القيامة الكبرى

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٦]، وهي قيام الناس لرب العالمين قياماً طويلاً في عَرَصات القيامة، يُسْمِعُهُمُ الداعي، ويُنْفِذُهُمُ البصر، وتدنو منهم الشمس، ويُلجمهم العرق، ويُوْرَدُ الحوض، وتُنشر الدواوين، وتوضع الموازين، وينصب الصراط، في مواقف عظيمة، وأحوال مَهولة.

خامساً الإيمان بالحساب

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [الغاشية: ٢٥ ـ ٢٦]، وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ٨]، وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨]، وقال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وحساب الخلائق نوعان:

١ حساب المؤمنين

وهو إما عرض أو مناقشة. فحساب العرض لمن سبقت له من الله الحسنى من السعداء، ويدل عليه حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«إن الله يُدني المؤمنَ، فيضعُ عليه كَنَفَهُ، ويَسْتُرُهُ، فيقولُ: أتعرفُ ذنبَ كذا؟ أتعرفُ ذنبَ كذا؟ فيقول: نعم، أيْ ربِّ! حتى إذا قرَّره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلكَ، قال: سترتُها عليكَ في الدنيا، وأنا أغفرُها لكَ اليومَ. فيُعطى كتابَ حسناتِهِ»** متفق عليه[1].

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤١)؛ ومسلم برقم (٢٧٦٨).

Black plate (67,1)

وأما حساب المناقشة، فيقع لأصحاب الكبائر من الموحدين، ممن شاء الله أن يعذبهم بذنوبهم في النار، ومآلهم إلى الجنة. ويدل عليه حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس أحدٌ يُحاسبُ يومَ القيامةِ إلا هلكَ**»، فقلتُ: يا رسولَ الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**إنما ذلك العرضُ، وليسَ أحدٌ يُناقشُ الحِسابَ يومَ القيامةِ إلا عُذِّبَ**» متفق عليه[(١)].

٢ حساب الكافرين

فهؤلاء لا يحاسبون محاسبة الموازنة بين الحسنات والسيئات؛ لأنه لا حسنات لهم، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣] بل يوقفون على أعمالهم، ويقرَّرون بها، ففي حديث ابن عمر السابق: «وأما الكفار والمنافقون، فينادى بهم على رؤوس الخلائق: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]» متفق عليه[(٢)].

سادساً الإيمان بالجزاء

وهو الإيمان أن الجنة حق، والنار حق. فالجنة هي الدار التي أعدَّها الله جزاءً لعباده المتقين، فيها من صنوف النعيم الحسي، والمعنوي، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. والنار هي الدار التي أعدها الله جزاءً للكافرين، فيها من صنوف العذاب الحسي، والمعنوي مثل ذلك.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٧)؛ ومسلم برقم (٢٨٧٦).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤١)؛ ومسلم برقم (٢٧٦٨).

Black plate (68,1)

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٢ ـ ٣٧].

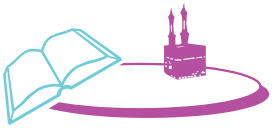

Black plate (69,1)

الإيمان بالقدر

هو الاعتقاد الجازم أن الله تعالى قدر مقادير الخلائق بعلمه الأزلي، وكتبها في اللوح المحفوظ، وأجراها بمشيئته، وأوجدها بقدرته.

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

ومما يدخل في الإيمان بالقدر، ما يلي:

أولاً الإيمان بعلم الله

الأزلي، الأبدي، المحيط بكل شيء جملةً، وتفصيلاً، مما يتعلق بأفعاله؛ من تقدير الآجال، والأرزاق، أو يتعلق بأفعال عباده؛ من الطاعات، والمعاصي. قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]. فقد علم من سيطيعه، ومن سيعصيه، كما علم ما يُعمَّر من مُعمَّر وما يُنقَص من عمره.

ثانياً الإيمان بكتابة الله للمقادير في اللوح المحفوظ

قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

Black plate (70,1)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب اللهُ مقاديرَ الخلائقِ قبلَ أن يَخْلُقَ السماواتِ والأرضَ بخمسينَ ألفَ سنةٍ، قال: وعرشُهُ على الماء**» رواه مسلم[١]. وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أولَ ما خلقَ اللهُ تعالى القلمَ فقال له: اكتبْ، فقال: ربِّ وماذا أكتبُ؟ قال: اكتبْ مقاديرَ كلِّ شيء حتى تقومَ الساعةُ**» رواه أبو داود والترمذي[٢].

وقد جمع الله العلم والكتابة في قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

ثالثاً الإيمان بمشيئة الله النافذة

فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضى، ولا يكون في ملكه ما لا يريد. يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، ولا معقب لحكمه.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨ ـ ٢٩].

(١) برقم (٢٦٥٣).
(٢) أخرجه أبو داود برقم (٤٧٠٠)؛ والترمذي برقم (٢١٥٥).

Black plate (71,1)

رابعاً الإيمان بخلق الله لجميع الكائنات، وإيجاده لها -

فالله الخالق، وما سواه مخلوق. وجميع الأشياء؛ ذواتها، وصفاتها، وحركاتها، مخلوقة، محدثة. والله خالقها، وموجدها. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات: ٩٦]. فأفعال العباد خلق لله، وكسب لهم؛ قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

خامساً الإيمان أنه لا تلازم بين المشيئة والمحبة

فقد يشاء ما لا يحب، وقد يحب ما لا يشاء، لحكمة بالغة، وغاية محكمة. قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٣﴾ [السجدة: ١٣]، وقال: ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ﴾ [الزمر: ٧].

سادساً الإيمان أنه لا تعارض بين الشرع والقدر

قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠﴾ [الليل: ٤ ـ ١٠]. وذلك أن الشرع كتاب مفتوح، والقدر غيب مكنون. فقد قدر الله مقادير العباد، وأخفى ذلك عنهم، وأمرهم، ونهاهم، وأعدهم، وأمدهم، بما يؤهلهم لامتثال أمره، واجتناب نهيه، وعذرهم إذا عرض لهم مانع من موانع التكليف. فلا حجة لأحد على فعل المعصية، وترك الطاعة، بالقدر السابق. قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ

Black plate (72,1)

أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: ١٤٨ ـ ١٤٩]، فأكذب دعواهم أولاً، وأذاقهم بأسه ثانياً، ولو كان لهم في القدر حجة ما أذاقهم بأسه، وكشف زيف دعواهم، ثالثاً: فهم لم يطلعوا على كتابهم فيصدروا عن علم، فيكون حجة لهم. بل هي مبنية على ظن وتخرص، ليس إلا! فصارت الحجة البالغة لله.

وقد ضل في باب القدر طائفتان:

إحداهما القدرية النفاة

الذين غلوا في إثبات أفعال العباد، وأنكروا القدر السابق، وهم على درجتين:

١ غلاة: وهم أوائلهم، الذين ظهروا في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم، وزعموا أن الأمر أُنُف، وقد رد عليهم الصحابة؛ كابن عباس، وابن عمر رضي الله عنهم. وقد أنكروا العلم والكتابة، والمشيئة والخلق.

٢ مقتصدون: وهم المعتزلة، الذين أثبتوا العلم والكتابة، وأنكروا المشيئة والخلق، وزعموا أن العبد يخلق فعل نفسه.

الثانية الجبرية

الذين غلوا في إثبات أفعال الرب، حتى سلبوا العبد مشيئته وقدرته، وجعلوا أفعاله اضطرارية كحركة المرتعش، ونفوا عن أفعال الله الحكمة والتعليل، وهم على درجتين:

Black plate (73,1)

١ **غلاة**: وهم زنادقة الصوفية، الذين يزعمون شهود الحقيقة الكونية، ويسوغون لأنفسهم فعل كل شيء، بدعوى موافقة القدر، ويقول قائلهم:

أصبحت منفعلاً لما تختاره ... مني ففعلي كله طاعات[١]

٢ **مقتصدون**: وهم الأشاعرة، القائلون بنظرية: (الكسب)، وإثبات قدرة للعبد غير مؤثرة!.

وكلا الطائفتين محجوج بالشرع والواقع:

١ **فمنكرو القدر بمراتبه الأربع ـ العلم والكتابة والمشيئة والخلق التي تقدم ذكرها ـ**: تَرد عليهم النصوص الصريحة بإثباتها، ويدل الواقع على أن المرء يعمد لفعل شيءٍ من الأشياء فيحال بينه وبينه.

٢ **والجبرية الغلاة في إثبات القدر**، ترد عليهم النصوص الدالة على إثبات الإرادة، والفعل، والمشيئة للعبد. ويدل الواقع على أن كل إنسان يفرق بين أفعاله الاختيارية، وما يقع عليه من أمور اضطرارية.

كما أن النصوص الشرعية متوافرة في إثبات الحكمة والتعليل في أفعال الله ﷻ.

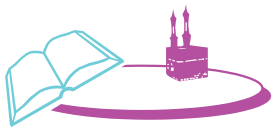

(١) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص(٢٣٧).